

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشمس مكية

وَأَنْتُمْ إِذَا جَلَّيْتُمْ

ضحاحها ضوءها إذا أشرقت وقام سلطانها. ولذلك قيل: وقت الضحى، وكان وجهه شمس الضحى. وقيل: الضحوة ارتفاع النهار، والضحى فوق نك، والضحاء بالفتح والمد: إذا امتد النهار وقرب أن ينتصف.

وَأَنْتُمْ إِذَا جَلَّيْتُمْ

﴿إِذَا تَلَّاهَا﴾ طالعاً عند غروبها أخذاً من نورها، وذلك في النصف الأول من الشهر، وقيل: إذا استدار فتلاها في الضياء والنور.

وَتَجَارَىٰ إِذَا جَلَّيْتُمْ

﴿إِذَا جَلَّاهَا﴾ عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلي في تلك الوقت تمام الانجلاء، وقيل: الضمير للظلمة أو للندى أو للارض وإن لم يجر لها نكر. كقولهم: أصبحت باردة، يريون الغداة. وأرسلت، يريون السماء.

وَأَنْتُمْ إِذَا جَلَّيْتُمْ

إِذَا يَغْشَاهَا فِتْنِيَةٌ

فإن قُلْتُ: الأمر في نصب إذا معضل؛ لأنك لا تخلو إما أن تجعل الواو عاطفة فتنصب بها وتجز فتقع في العطف على عاملين في نحو قولك: مررت أمس بزید واليوم عمرو. وإما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على

استكراهه! قُلْتُ: الجواب فيه أن وار القسم مطرح معها إبراز الفعل إطرأً كلياً فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادّة مسدّهما معاً. والواو العواطف نوابغ عن هذه الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعاً. كما تقول: ضرب زيد عمرًا، وبكر خالدًا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملها.

جعلت ما مصدرية في قوله: ﴿وما بناها﴾ ﴿وما طحاها﴾ ﴿وما سواها﴾. وليس بالوجه لقوله: فإلهما، وما يؤدي إليه من فساد النظم. والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية. كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها في كلامهم سبحانه ما سخركن لنا.

فإن قُلْتُ: لم نكرت النفس؟ قُلْتُ: فيه وجهان: أحدهما أن يريد نفساً خاصةً من بين النفوس وهي نفس آدم كأنه قال: وواحدة من النفوس، والثاني أن يريد كل نفس وينكر للتكثير عن الطريقة المذكورة في قوله: علمت نفس.

وَأَنْتُمْ إِذَا جَلَّيْتُمْ

ومعنى إلهام الفجور والتقوى إلهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، وتمكينه⁽¹⁾ عن اختيار ما شاء منهما بديل قوله:

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا

﴿قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها﴾ فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليها. والتزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى.

(1) قال أحمد بن حنبل: في هذا الكلام نوعين من الباطل أحدهما: في قوله معنى إلهام الفجور والتقوى إلهامهما وإعقالهما، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح، والذي يكنه في هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن والقبح مدركان بالعقل، لا ترى إلى قوله: إعقالهما أي: خلق العقل الموصل إلى معرفة حسن الحسن وقبح القبيح، وإنما اغتنم في هذا فرصة إشعار الإلهام بذلك، فإنه ربما يظن أن إطلاقه على العلم المستفاد من السمع بعيد، والذي يقطع دابر هذه النزعة أنا وإن قلنا: إن الحسن والقبح لا يدركان بالسمع؛ لأنهما راجعان إلى الأحكام الشرعية التي ليست عندنا بصفات الأفعال، فإننا لا نلغي حظ العقل من إدراك الأحكام الشرعية، بل لا بد في علم كل حكم شرعي من المقدمات العقلية، وهي الموصلة إلى العقيدة، وسمعية مفرغة عليها وهي الدالة على خصوص الحكم على أن تعلقه بظاهره لو سلم ظهوره في قاعدة قطعية بمعزل عن الصواب. النزعة الثانية: وهي التي كشف القناع في إبرازها أن التزكية وقسمها ليسا مخلوقين لله تعالى، بل لشركائه المعتزلة، وإنما تعارضه في الظاهر من فحوى الآية، أنه على لم ينكر وجهاً في الرد على من قال: وأن الضمير لله تعالى، وإنما اقتصر على الدعوى مقرونة بسفاهته على أهل السنة، فنقول: لا مرأى في احتمال عود الضمير إلى الله تعالى وإلى ذي النفس، لكن عوده =

= إلى الله تعالى أولى لوجهين، أحدهما: أن الجمل سيقت سياقة واحدة من قوله: ﴿والسماء وما بناها﴾ و﴿هلّم جرا، والضمائر فيما تقدم هذين الفعلين عائدة إلى الله تعالى بالاتفاق، ولم يجر لغير الله تعالى نكر، وإن قيل يعود الضمير إلى غيره، فإنما يتمحل لجوازه بدلالة الكلام ضمناً واستلزاماً، لا نكرًا ونطقاً، وما جرى نكره أولى أن يعود الضمير عليه، الثاني: أن الفعل المستعمل في الآية التي استدل بها في قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ تفعل ولا شك أن تفعل مطاوع فعل، فهذا بان يدل لنا أولى من أن يدل له؛ لأن الكلام عندنا نحن قد أفلح من زكاه الله فتزكى، وعنده الفاعل في الاثنين واحد، أضاف إليه الفعلين المختلفين، ويحتاج في تصحيح الكلام إلى تعدد اعتبار وجهه ونحن عنه في غنية، على أنا لا نأبى أن تضاف التزكية والتدسية إلى العبد على طريقة أنه الفاعل، كما يضاف إليه الصلاة والصيام وغير ذلك من أفعال الطاعات؛ لأن له عندنا اختياراً وقدره ومقارنته، وإن منعنا البرهان العقلي الدال على وحدانية الله تعالى، ونفي الشرك أن نجعل قدرة العبد مؤثرة خالفة، فهذا جوابنا على الآية تنزلاً، وإلا فلم ينكر وجهاً من الرد فيلزمنا الجواب عنه، وأما جوابنا عن سفاهته على أهل السنة فالسكوت، والله الموفق.

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿٥﴾

﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى: فسوأها بالأرض، أو في الهلاك ولا يخاف عقبي هلاكها. وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف. وفي قراءة النبي ﷺ: ولم يخف. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر»⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الليل مكية

وَأَنْبِئْهُمْ إِذَا لَبِثُوا

المغشى إما الشمس من قوله: ﴿والليل إذا يغشاها﴾⁽²⁾ وإما النهار من قوله: ﴿يغشى الليل النهار﴾⁽³⁾ وإما كل شيء يواريه بظلامه من قوله: ﴿إذا وقب﴾⁽⁴⁾.

وَأَلْبَسُوا إِذَا تَجَلَّى

﴿تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل، أو تبين وتكشف بطول الشمس.

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾

﴿وما خلق﴾ والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد. وقيل: هما أدم وحواء. وفي قراءة النبي ﷺ والذكر والأنثى، وقرأ ابن مسعود: والذي خلق الذكر والأنثى، وعن الكسائي: وما خلق الذكر والأنثى، بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى: وما خلقه الله. أي: ومخلوق الله الذكر والأنثى. وجاز إضمار اسم الله لأنه معلوم لانفراده بالخلق إذ لا خالق سواه. وقيل: إن الله لم يخلق خلقاً من نوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى، والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة، فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه نكراً ولا أنثى وقد لقي خنثى مشكلاً كان خائناً؛ لأنه في الحقيقة إما نكراً وأنثى وإن كان مشكلاً عندنا.

إِذْ سَخَّرَ لَنُوحٍ

﴿سختي﴾ جمع سختت أي: إن مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾

﴿أعطى﴾ يعني: حقوق ماله. ﴿واتقى﴾ الله فلم يعصه.

والتسوية: النقص والإخفاء بالفجور وأصل نسي نسس كما قيل: في تقضض تقضى، وسئل ابن عباس عنه فقال: اتقوا قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظملاً. وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ونسى الله تعالى وأن تانيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوزكون على الله قدرًا هو بريء منه ومتعالٍ عنه، ويحيون لياليهم في تحمل فاحشة ينسبونها إليه.

فإن قلت: فإين جواب القسم؟ قلت: هو محنوف تقديره ليدمن الله عليهم أي: على أهل مكة، لكنبيهم رسول الله ﷺ كما مدم على ثمود؛ لأنهم كذبوا صالحًا، وأما قد أفلح من زكاهما فكلام نابح لقوله: فالههما فجورهما وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾

الباء في: ﴿بطغواها﴾ مثلها في كتبت بالقلم، والطغوى من الطغيان. فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الباء بأن قلبوا الباء وأوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا: امرأةٌ خزيًا وصدبًا يعني: فعلت التكبذب بطغيانها، كما تقول: ظلمني بجرأته على الله، وقيل: كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغوى، كقوله: فاهلكوا بالطاغية. وقرأ الحسن: بطغواها بضم الطاء، كالحسنى والرجعى، في المصادر.

إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾

﴿إذ انبعث﴾ منصوب بكذبت أو بالطغوى. و﴿أشقاها﴾ قدار بن سالف، ويجوز أن يكونوا جماعة، والتوحيد لتسويتك في أفعال التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمنكر والمؤنث. وكان يجوز أن يقال: أشقوها كما تقول أفاضلهم. والضمير في ﴿لهم﴾ يجوز أن يكون للأشقين، والتفضيل في الشقاوة لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾

و﴿ناقة الله﴾ نصب على التحنير كقولك الأسد الأسد والصبي الصبي بإضمار نروا أو احذروا عقروها. و﴿وسقياها﴾ فلا تزروها عنها ولا تستأثروا بها عليها. فكَذَّبُوهُ فَعَبْرُوا قَدَمَهُمْ عَلَيْهِمْ رِبْهُمُ ذُنُوبُهُمْ فَمَرَدُّوا عَنْهَا ﴿١٤﴾

﴿فكذبوه﴾ فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا. ﴿فقدم عليهم﴾ فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم: ناقة مدمومة إذا البسها الشحم. ﴿بذنوبهم﴾ بسبب ذنوبهم وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل منذب أن يعتبر ويحذر. ﴿فسوأها﴾ الضمير للدمدمة أي: فسوأها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم.

(3) سورة الأعراف، الآية: 54.

(4) سورة الفلق، الآية: 3.

(1) نكرة الثعلبي وابن مردويه في تفاسيرهم، الزيلعي 4/219.

(2) سورة الشمس، الآية: 4.